حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد الرابع ـ شهر رمضان ـ ١٤٣٥هـ / تموز ـ ٢٠١٤م

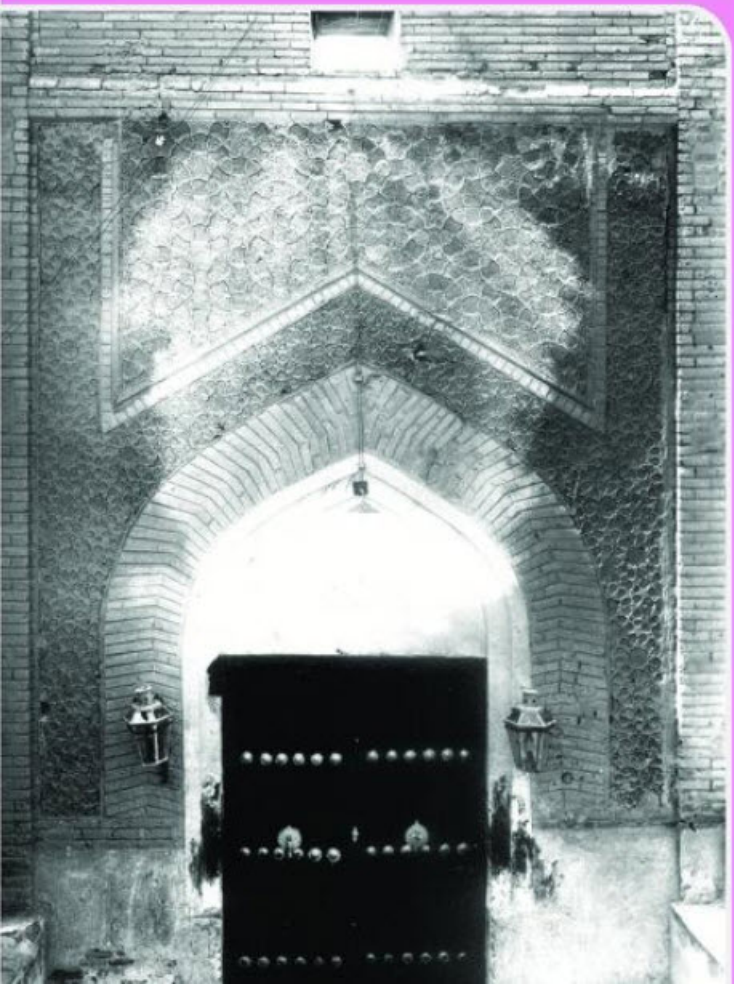

٤

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

العوامل التي أسهمت في جذب علماء الكوفة إلى بغداد

الأستاذ الدكتور بهجت كامل عبد اللطيف / الدكتور عوض عبد الكريم محمد الذنيبات

قسم التاريخ - كلية الآداب/ جامعة بغداد

عرفت الكوفة بأنها أحد المراكز الأساسية للثقافة الإسلامية منذ تمصيرها في السنة السابعة عشرة للهجرة. وتعد الحياة الدينية أول مظهر مظاهر الحركة الفكرية فيها إذ اتجهت الدراسات الدينية كما اتجهت في سائر مراكز الثقافة الإسلامية إلى ثلاثة اتجاهات: اتجاه اهتم بالقرآن الكريم قراءة وتفسيراً، واتجاه اهتم بالحديث الشريف، واتجاه ثالث اهتم بالتشريع (الفقه).

وبدأت الكوفة منذ أوائل القرن الثاني للهجرة تقريباً تنشئ لنفسها مدرسة نحوية ترسم لها منهجاً جديداً أملته على الدارسين بيئة الكوفة ومناهج الدراسة التي سار عليها القراء والمحدثون وازدهرت كذلك الكوفة منذ طلع القرن الثاني للهجرة مدرسة الإخباريين الذين اهتموا بالأيام لدراسة التاريخ.. ورغم ازدهار الحركة الفكرية في الكوفة بجوانبها المختلفة فإنها لم تحافظ على علمائها وقراءها وفقهائها وأدبائها الذين وجدوا في بغداد عاصمة الخلافة ومركز الإشعاع الحضاري ضالتهم المنشودة فقصدوا مدينة السلام لعوامل متعددة:

أولاً: كونها حاضرة لدولة الخلافة العباسية فضلاً عما تمتعت به من فضائل:

كان طبيعياً أن يرفض العباسيون -بعد أن قاموا دولتهم - الإبقاء على مدينة دمشق محاضرة لدولة الخلافة، ذلك أن بلاد الشام كانت مقراً لدولة بني أمية. وبها من يناصرهم ويرفض انتقال الخلافة إلى غيرهم، لذا نقل العباسيون حاضرة دولتهم إلى العراق، قريباً من أنصارهم فضلاً عن أن العراق، غني بموارده الطبيعية، وفي مأمن من غارات البيزنطيين لبعده عن حدودها[1].

ولم تكن كل من الكوفة والبصرة، المدينتان الكبيرتان اللتان كانتا موجودتين منذ الفتح العربي للعراق تصلحان لان تكون أحداهما حاضرة للدولة الجديدة، ذلك أن أهل الكوفة كان معظمهم يعارضون الحكم العباسي ويسعون إلى نقل الخلافة للعلويين، أما البصرة فلم تكن تصلح هي كذلك لبعدها في الجنوب[2] وأخيراً اهتدى الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور إلى موضع بغداد[3].

فبنى فيه عاصمته[4] التي أصبحت بعد زمن قصير جداً من أهم المدن في الدولة الإسلامية بل والعالم في العصر العباسي، واحتلت بسرعة مكان الصدارة في العلم والثقافة والنشاط التجاري والاجتماعي[5] وكثرت ثرواتها وازدهرت في عهد

(١) اليعقوبي: كتاب البلدان ص٧-١٠.

(٢) مصطفى عباس الموسوي - العوامل التأريخية لنشأة المدينة العربية/ ص١٢٩.

(٣) لم تكن بغداد مدينة في الأيام المتقدمة، أعني أيام الأكاسرة والأعاجم وإنما كانت قرية من قرى طسوج بادوريا وذلك لأن الأكاسرة والأعاجم اتخذوا المدائن مدينتهم في العراق وهي من بغداد على سبعة فراسخ، ولمي كن إلا دير يسمى الدير العتيق. ينظر: اليعقوبي - البلدان، ص٨؛ وعن تسمية بغداد واشتقاقاته، ينظر الخطيب البغدادي/ تاريخ بغداد ١/ ٥٨-٦٢. البكري - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ص٢٦١-٢٦٣، ابن الجوزي - مناقب بغداد ص٦ ياقوت الحموي - معجم البلدان ١/ ٤٥٦ - ٤٥٧؛ الحميري - الروض المعطار/ ١٠٩ - ١١٠؛ الزبيدي - تاج العروس ٧/ ٤٤١-٤٤٢؛ عبد العزيز الدوري -بغداد دائرة المعارف الإسلامية ٤/ ٢١.

(٤) عن خبر بناء بغداد وخططها وبناء الكرخ والرصافة ومحال مدينة السلام وطاقاتها وسككها ودروبها وأرياضها ومعرفة من نسبت غليه من ذلك نواحي الجانب الشرقي والغربي ومساجد الجانبي وسور المدينة، ومقابر العلماء والزهاد. ينظر: اليعقوبي -البلدان ص١٠-٢٥؛ المسعودي - التنبيه والأشراف ص٢٨٦-٢٨٩؛ الخطيب - تاريخ بغداد ١/ ٦٦-٩٩، ١٠٧-١١١، ١١٥-١١٧، ١٢٠-١٢٧؛ الإدريسي - نزهة المشتاق، ٢/ ٦٦٦-٦٦٧؛ أبو الفداء - تقويم البلدان ص٣٠٢ -٣٠٤ العلي، صالح أحمد - معالم بغداد الإدارية العمرانية وينظر له أيضاً: مدينة السلام إنشاؤها وتنظيم سكانها لسترنج في - بغداد في عهد الخلافة العباسية ص١٧ وما بعدها.

(٥) كوك ريجارد - بغداد مدينة السلام ١/ ٣٢.

الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦- ٨٠٨م) وتجلى ذلك في بلوغ العمران غايته وازدحام الناس في أنحائها حتى قيل: أن تعدادهم زاد على مليون نسمة[١].

وتمضي بغداد في طريقها نحو التقدم والازدهار الفكري والحضاري فتغنى بها العلماء وقالوا الكثير في فضائلها وعلومها وانجذب إليها كل طالب علم وتعليم وثراه ومن الشواهد على ذلك مقولة أب يبكر بن عياش الكوفي الإسلامي في بغداد وإنها لصياد تصيد الرجال[٢] وهذا المقدسي يدون لنا ما يشهد على سمو منزلتها وعظمتها فيقول: بغداد مصر السلام وبها مدينة السلام ولهم الخصائص والظرافة والقرائح واللطافة، هواء رقيق وعلم دقيق كل جيد بها وكل حسن فيها، وكل حاذق منها وكل ظرف لها وكل قلب إليها وهي أشهر م أن توصف وأحسن من أن تنعت وأعلى من أن تمدح[٣].

وأخذت بغداد تجذب إليها العلماء والشعراء والمغنين بحكم أنها حاضرة الدولة الإسلامية ومدينة الخلفاء والأمراء وما يخيط بها من أبهة الخلافة وثرائها ومطمح الأنظار لما يتدفق فيها من مال وما يسيل بها من ثراء وما يأتلق فيها من حضارة ومدني، وبدأنا نسمع عن شعراء كوفيين وبصريين يفارقون مدنهم إلى بغداد ليجربوا حظهم فيها، فمنهم من يستقر فيها إلى غير رجعة ومنهم من يقيم إلى حين، وكانت الكوفة والكوفيون أقرب إلى قصور البغداديين من البصرة والبصريين، وكان للكوفة مكانة عند الخلفاء والأمراء أكثر مما كان للبصرة[٤] وبغداد في بداية عهدها -كما قيل عنها- مدينة ملك وليست مدينة علم وما فيها من العلم منقول إلهيا ومجلوب للخلفاء وأتباعهم وبذلك نشأت بينها وبين الكوفة صلات ثقافية واستطاعت أن تفرض نفسها على الكوفة والبصرة[٥].

وكان للخلفاء العباسيين دورهم في ازدهار الحركة الفكرية في بغداد بما أغدقوه من أموال على العلماء والشعراء والمفكرين حتى تضاءلت إلى جانبها الكوفة وغيرها من مراكز العلم التي كانت موجودة قبل بناء بغداد وبذلك اتجهت أنظار العلماء إلهيا من قراء ومحدثين وفقهاء ونحويين وأدباء وشعراء ومغنين، منهم من جاءها للعمل وتولي المناصب والوظائف الإدارية ومع ذلك استمر هؤلاء العلماء في تأدية رسالة العلم في مختلف صنوف المعرفة حتى أصبحت بغداد ملتقى للعلماء والمفكرين، وغلب ورود أهل الكوفة إليها لقربهم منها وكان العباسيون يكرمونهم لأنهم وقفوا إلى جانبهم في دعوتهم للخلافة واستقدموهم ووسعوا لهم ورغب الناس في الروايات الشاذة وتفاخروا بالنوادر[٦].

ثانياً: الذين جاءوا إلى بغداد بطلب من الخلفاء:

من العلماء من جاء به الخلفاء من الكوفة على بغداد أما ليتخذوا منهم مؤدبين لأبنائهم أو ليحدثوهم أو ليأخذوا منهم رأياً أو موعظة، أو ليتولوا مهمة رسمية في الدولة.

فأبو العباس المفضل بن محمد الضبي الكوفي ت٠ ١٧٨هـ/ ٧٩٤م) جاء به أبو جعفر المنصور إلى بغداد بعد أن ظفر به لخروجه مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن الذي ثار مع أخيه محمد ذي النفس الزكية سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م على أبي جعفر المنصور فألزمه لتأديب المهدي[٧] وكذلك شرقي بن القطامي (أبو المثنى الوليد بن الحصين ت١٥٥هـ/ ٧٧١م) الذي استقدمه المنصور أيضاً لتعليم ولده الأدب[٨] أما الكسائي علي ابن حمزة الكوفي (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م) فقد جاء به المهدي إلى بغداد لتأديب ولده الرشيد[٩] ثم استخلصه لنفسه[١٠] ثم أقامه الرشيد مؤدباً لولده محمد الأمين[١١].

أما مندل بن علي أبو عبد الله العنزي الكوفي (ت١٦٧هـ/ ٧٨٣م) وأخوه حبان (ت١٧١هـ/ ٧٨٧م) فقد أشخصهما المهدي من الكوفة إلى بغداد[١٢] واستقدم المهدي أيضاً غياث بن إبراهيم النخعي أبا عبد الرحمن الكوفي وطلب منه أن يحدثه[١٣].

ومن الذين أقدمهم الرشيد من الكوفة المحدث الكوفي، أبو

(١) المدمور، جميل - حضارة الإسلام في دار السلام، ص٩٣.
(٢) الخطيب، تاريخ بغداد ١/ ٤٧.
(٣) أحسن التقاسم ص١٠٧؛ وينظر عن فضائل بغداد، أبو سهل، يزد جرد بن مهمندار الفارسي، كتاب فضائل بغداد مخطوط بغداد/ دار صدام للمخطوطات رقم (٤٠٦٧٤) ص٤-٥، ١٤-١٨؛ الألوسي، جمال الدين - بغداد في الشعر العربي ص٢٢.
(٤) السيوطي - المزهر، ٢/ ٤١٠ - أحمد أمين - ضحى الإسلام ٢/ ٣٤.
(٥) السيوطي - المزهر ٢/ ٤١٤.
(٦) أبو الطيب اللغوي - مراتب النحويين واللغويين ص٩٠؛ البراقي النجفي - تاريخ الكوفة ص٤٤٤؛ الطنطاوي محمد - نشأة النحو وتاريخ أشهر النجاة، ص١٦٧-١٦٨.
(٧) ابن النديم - الفهرست/ ص٧٥.
(٨) ابن قتيبة - المعارف، ط٢/ ابن الأنباري - نزهة الالباء في طبقات الأدباء - ص٢٨-٣٩؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان - ٢/ ١٧٤.
(٩) الخطيب - تاريخ بغداد، ١١/ ٤٠٢ - ٤٠٦؛ ابن الانباري - نزهة الالباء، ص٦١؛ ابن خلكان - وفيات الأعيان، ٦/ ١٨٤؛ الترمانيني، عبد السلام - أحداث التاريخ، ج١/ ١٠٩٥.
(١٠) الترمانيني، أحداث التاريخ، م٢ ج١/ ١٠٩٥.
(١١) الخطيب - تاريخ بغداد، ١١/ ٤٠٣؛ ابن الانباري - نزهة الالباء، ص٦١؛ ابن خلكان - وفيات الأعيان، ٦/ ١٨٤
(١٢) الخطيب - تاريخ بغداد، ١٣/ ٢٤٧-٢٥؛ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٥/ ٣٤٣ -٣٤٤.
(١٣) الخطيب - تاريخ بغداد، ١٢/ ٣٢٣-٣٢٤.

بكر بن عياش، فقد قدم ومعه وكيع بن الجراح (ت١٩٨هـ/ ٨١٣م). فلما قدم أستأذن على الرشيد فأذن له فدخل ووكيع يقوده، وكان قد ضعف بصره فلما رآه الرشيد قال له: يا أبا بكر، فقد أدركت أيام بني أمية وأيامنا فأينا خير؟ قال وكيع: فقلت: اللهم ثبت الشيخ، فقال: يا أمير المؤمنين: أولئك أنفع للناس، وأنتم أقوم بالصلاة، فصرفه الرشيد وأجازه بستة آلاف دينار[١].

ثالثاً: الذين جاءوا لبغداد بدوافع شخصية:

أ- للعلم والإفادة والتدريس والالتقاء بالعلماء.

من علماء الكوفة من جاء إلى بغداد بنفسه وبدوافع شخصية لأداء رسالة العلم والتدريس، بوصفها رسالة إنسانية وحضارية يمليه عليه الواجب الديني أو جاء ليلتقي بالعلماء، فقد أصبحت بغداد ملتقى العلماء الوافدين عليها من مختلف الأمصار الإسلامية وغدت مع الأيام موطن العلم وكعبة العلماء، فهذا الحسن بن زياد اللؤلؤي الفقيه الكوفي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) تنقل بين الكوفة وبغداد لإيمانه بأن مناقشة الأصحاب والأقران لها أهمية كبيرة في سداد التوجيه واتساع المعرفة، ودقة الفهم والاستنباط فقد ورد عن محمد بن عثمان الفقيه الكوفي (ت٢٩٧هـ/ ٩٠٩م) قال:(قدم الحسن بن زياد بغداد فجاءه أبو يوسف القاضي، فقال له الحسن: هل أحدثت تلميذاً؟ فقال أبو يوسف: نعم بشراً[٢] فسأل الحسن بشراً عن مسألة فأخطأ ثم عاد ثانية وثالثة ورابعة فأخطأ، فقال الحسن لأبي يوسف: نعم الخليفة أفسدت، أرجع إلى الكوفة ودم على الطعام الذي عليه كنت بها)[٣].

ومع أن الحسن بن زياد نفسه أوصى أبا يوسف بالعودة للكوفة نجده قد انتقل من الكوفة إلى بغداد زمن الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٦٨٧-٨٠٨م)[٤] وفي بغداد أخذ الحسن بن زياد يتم رسالته في رواية الحديث وتعليم الناس أمور دينهم حتى غصت حلقته بالدارسين عليه، وأعجب التلاميذ به أيما إعجاب لجميل صبره في التعليم وغزارة علمه وحدة ذكائه وعظيم ورعه، فما أن طرق سمع خليفة هارون الرشيد ما اتصف به الحسن من علم وذكاء حتى دعاه مع من يدعو من كبار الفقهاء في ليالي رمضان ليستأنس برأيه ويفيد من علمه ولم يكتف بذلك بل اختاره مدرساً لابنه المأمون حتى يفقه في الدين ويعلمه الحديث وأخلاق الناس[٥] أما محمد بن الحسن الشيباني، أبو عبد الله مولى بني شيبان الذي نشأ بالكوفة (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م)، فقد قدم بغداد ونزلها واختلف الناس إليه فيها وسمعوا منه الحديث والرأي[٦] وكذلك أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي الكوفي (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، فقد ورد بغداد للتدريس فيها فكان معلماً بالرصافة[٧].

وجرير بن عبد الحميد الضبي الكوفي (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٣م) قدم إلى بغداد ونزل على بني المسيب -بن شريك الكوفي (ت١٨٦هـ/ ٨٠٢م) - فأتاه العلماء يأخذون عنه الحديث ومنهم الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)[٨] وحدث يحيى بن معن -محدث بغدادي (ت٢٣٣هـ/ ٨٤٧م) - قال:(لما قدم مروان بن معاوية بن الحارث الكوفي (ت١٩٣هـ/ ٨٠٨م) قيل لي فأتيته في خان منارة فإذا عنده معلي بن منصور وهو يسأله في قرطاس...[٩].

وكذلك المحدث الحسين بن الربيع بن سليمان البجلي القسري، أبو علي الكوفي البوراني الحصار (ت٢٢١هـ/ ٨٣٥م)، خرج إلى بغداد ليلتقي بعلماء الحديث فيها فلما عاد للكوفة شيعه أصحاب الحديث من وعلماء بغداد وعلى رأسهم أحمد بن حنبل[١٠].

ب- طلباً للشهرة والوصول إلى قصور الخلفاء لنيل الحظوة عندهم.

من هؤلاء النحوي يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) فقد كان قدومه على بغداد كما ذكر هو نفسه قال: لما خرج الكسائي إلى بغداد قال لي الرؤاسي[١١] قد خرج الكسائي فسألته عن مسائل الرؤاسي، فأجابني بخلاف ما عندي فغمزت قوماً من علماء الكوفيين كانوا معي فقال الكسائي: مالك أنكرت؟ لعلك من أهل الكوفة؟ فقلت: نعم، فقال الرؤاسي يقول كذا وكذا، وليس صواباً، فقد سمعت العرب تقول كذا وكذا، حتى أتى على مسائل الرواسي فلزمته[١٢].

---

(١) الذهبي - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ١/ ٥٠١.

(٢) يرد ببشر: بشر بن الوليد بن خالد الكندي، أخذ الفقه عن أبي يوسف وولي القضاء في بغدد في الجانبين جميعاً (ت٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) ينظر ابن سعد - الطبقات، ٧/ ٢٥٤؛ الخطيب - تاريخ بغداد، ٧/ ٨٠-٨٤.

(٣) الكوثري، الامتاع بسيرة الإمامين، الحسن بن زياد وصاحبه محمد بن شجاع، حامد - الحسن بن زياد وفقه، ص١٢٩-١٣٠.

(٤) حامد - الحسن بن زياد وفقه، ص١٣٠-١٣١.

(٥) م.ن، ص١٣١؛ نقلاً عن ابن أبي العوام، عبد الله بن محمد - فضائل أبي حنيفة وأصحابه، ورقة ١٦٨.

(٦) ابن سعد - الطبقات، ٧/ ٢٤٢.

(٧) بروكلمان، كارك - تاريخ الأدب العربي - ٣/ ٣٩.

(٨) الخطيب - تاريخ بغداد، ٧/ ٢٥٣ - ٢٥٧.

(٩) المزي - تهذيب الكمال، ٦/ ١٥٠-١٥١.

(١٠) محمد بن أبي سارة، كان أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو (ت ١٨٦هـ/ ٨٠٢م)، ينظر: ياقوت الحموي - معجم الأدباء، ١٨/ ١٢٢.

(١١) م.ن، ١٨/ ١٢٢؛ ينظر: ابن الأنباري - نزهة الألباء، ص٥٠-٥١.

(١٢) الزجاجي، مجالس العلماء ص٢٦٩-٢٧٠؛ ضيف، شوقي - المدارس النحوية ص١٩٣.

ويبدو أن رحلة الفراء إلى بغداد جاءت بعد أن أخذت شهرة الكسائي في موطنه الكوفة، تدوي في الآفاق فلزم الكسائي منذ عصر المهدي وأخذ كل ما عنده، ويظهر أن أستاذه عرف الخليفة هارون الرشيد به إذ نراه يحضر مجالسه ثم بدأت محاولاته في الوصول على قصر الخليفة المأمون، فقد حدث أبو العباس ثعلب -أحمد بن يحيى بن يسار (ت٢٩١هـ/ ٩٠٣م) عن ابن نجده[١] قال: لما تصدى أبو زكريا (يعني الفراء) للاتصال بالمأمون كان يتردد إلى الباب، فلما كان ذات يوم جاء ثمامة[٢] قال: فرأيت أبهة أدب فجلست إليها ففاتشته عن اللغة فوجدته بحراً: وفاتشته عن النحو فشاهدت نسيج وحدة، وعن الفقه فوجدت رجلاً فقيهاً عارفاً باختلاف القوم وبالطب خبيراً وبأيام العرب وأشعارها حاذقاً فقلت من تكون؟ وما أظنك إلا الفراء؟ قال: أنا هو، فدخلت فأعلمت أمير المؤمنين فأمر بإحضاره لوقته وكان ذل سبب اتصاله به[٣].

وقد تمثل هذا الدافع بشكل واضح لدى شعراء الكوفة، فهذا أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم (ت٢١١هـ/ ٨٢٦)، أراد أن يجرب حظه في الحياة شاعراً، فلمعت بغداد بين عينيه وشد رحاله إليها، ويذكر القبرواني: أنه وصل إليها في خلافة المهدي (١٥٨١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م)[٤] وذلك أن أول قصيدة من شعره قالها في بغداد وصلت إلينا هي اللامية المشهورة التي مدح فيها المهدي وهي ما يبدو من موضوعها تهنئة له بالخلافة[٥] واتصل بعد المهدي بابنه الهادي فمدحه واستطاع أن ينال عنده الحظوة[٦] ولم تطل خلافة الهادي (١٦٩-١٧٠هـ/ ٧٨٥-٧٨٦م) فآلت الخلافة إلى الرشيد فشد أبو العتاهية نفسه إلى عجلته فلم يكن يفارقه في سفر ولا حضر، وكان يجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز[٧] وقيل أن صديقه إبراهيم الموصلي أقبلت عليه الدنيا حين ولي المهدي الخلافة (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م)، وقربه مع من قربه من المغنين، فأرسل إلى أبي العتاهية ليلحق به وليقدمه إلى الخليفة فسار إليه وأعجب الخليفة بمدح وأخذ يغدق عليه الجوائز[٨] وهكذا أقبلت الدنيا عليه وأصبح شاعر القصر الأول.

ومن الشعراء أيضاً المؤمل بن أميل المحاربي (ت١٩٠هـ/ ٨٠٥م)، قدم بغداد ومدح المهدي وهو أمير على الري ثم انقطع له بعد توليه الخلافة[٩] وقدم إلى بغداد أيضاً مع من قدمها من الشعراء، الشاعر الكوفي الحسين بن أبي الحكم السلولي، قدم على المهدي وامتدحه، ويذكر الخطيب البغدادي، أنه قدم على المهدي في بيعته لموسى الهادي وهارون الرشيد[١٠].

ج- الذين جاءوا للعمل:

١- الوظائف الإدارية:

ومن علماء الكوفة من جاء إلى بغداد وتولى فيها مهمات ومناصب إدارية في دار الخلافة ومع ذلك استمر يؤدي فيها رسالته العلمية كما كان يؤديها في الكوفة مسقط رأسه، فكان منهم المحدث والفقه والنحوي والكاتب وغير ذلك.

فالمسيب بن شريك (ت١٨٦هـ/ ٨٠٢م) قدم بغداد ونزلها وولي فيها بيت المال لهارون الرشيد[١١] وكذلك المحدث علي بن عيسى الكوفي قدم بغداد وكان كاتباً لعكرمة ابن طارق السرخسي[١٢] لما تقلد القضاء ببغداد[١٣].

أما أحمد بن يوسف الكاتب (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، فقد ولي في بغداد كتابة الرسائل للمأمون، ثم أصبح وزيراً له بعد وفاة أحمد بن أبي خالد سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م. إذ شاور المأمون الحسن بن سهل فيمن يخلف أحمد بن أبي خالد على الوزارة، فأشار عليه بأحمد بن يوسف فاستوزره ورفع منزلته فكان يعرض عليه القصص أو رقاع الشكوى ويقع عليها بما يلائمها من العبارات[١٤].

---

(١) ابن نجده: محمد بن الحسين بن محمد الطبري النحوي، مشهور في أهل الأدب.
ينظر السيوطي - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١/ ٩٤.

(٢) ثمامة بن أشرس النمري، أحد المعتزلة البصريين، ورد بغداد واتصل بالرشيد وغيره من الخلفاء، ينظر: الخطيب - تاريخ بغداد، ٦/ ١٤٥-١٤٦.

(٣) الخطيب - تاريخ بغداد، ١٤م ١٥١؛ القفطي - أنباه الرواة، ٢/ ٣٥١.

(٤) أبو إسحق إبراهيم بن علي الحصري (ت٤٥٣هـ/ ١٠٦١م) - زهر الآداب وثمر الألباب، ٢/ ٣٨٢.

(٥) الأصفهاني - الأغاني، ٤/ ٢٨٢ وما بعدها.

(٦) م.ن - ٤/ ٢٩٦-٢٩٧.

(٧) م.ن - ٤/ ٣٠٢-٣٠٣؛ البراقي - تاريخ الكوفة، ٤٥٩.

(٨) الأصفهاني - الأغاني، ٤/ ٢٦٣.

(٩) الخطيب - تاريخ بغداد، ١٣/ ١٧٧-١٧٩؛ الهواري، صلاح الدين - الشعر والشعراء في كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدبه، لابن رشيق القيرواني ص٢٦، الترمانيني - أحداث التاريخ الإسلامي، م٢، ج١/ ١١٠٤.

(١٠) تاريخ بغداد، ٨/ ٣٥-٣٦.

(١١) ابن سعد -الطبقات، ٧/ ٢٣٩؛ الخطيب - تاريخ بغداد، ١٣/ ١٤٠؛ الذهبي - تاريخ الإسلام، حوادث، ١٨١ -١٩٠، ص٣٩٦-٣٩٧.

(١٢) كان من أصحاب أبي يوسف القاضي - ولي قضاء الشرقية ببغداد، عزل عن القضاء سنة ٢١٤هـ ينظر: الخطيب - تاريخ بغداد، ١٢/٢٦٣-٢٦٤.

(١٣) الخطيب - تاريخ بغداد، ١١/١٢.

(١٤) ياقوت الحموي - معجم الأدباء، ١٦١/٥- ١٦٦؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، حققه، ٣/ ١٢٧٠-١٢٧٤؛ الذهبي - تاريخ الإسلام، حوادث، ٢١١ - ٢٢٠، ص٤٦-٤٧؛ ابن كثير، أبو الفداء- البداية والنهاية، ١/ ٢٨١؛ ح صفوات، أحمد زكي - جمهرة رسائل العرب، ٣/ ٤٤٥- ٣٣٣-٣٤٦.

أما أبو عبد الله محمد بن عبدوس بن عبد الله الجهشياري الكوفي (ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م) فكان أبوه يحجب الوزير علي بن عيسى الجراح[١] فخلفه على حجابته ثم حجب حامد بن العباس[٢] في وزارته للمقتدر، وصاحب الوزير ابن مقلة[٣].

تولي منصب القضاء:

تشير الدراسة إلى أن عدداً كبيراً من علماء الكوفة وفقهائها تولوا منصب القضاء ببغداد ولاسيما الذين تتلمذوا على مذهب الإمام أبي حنيف النعمان (ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م) مذهب أهل الرأي، ومن هؤلاء الحسن بن عمارة الفقيه (ت١٥٣هـ/ ٧٧٠م)، فقد تولى قضاء بغداد لمدة قصيرة[٤] ومنهم أيضاً الفقيه عافية بن يزيد بن قيس (حيا سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م)، فقد ولاه المهدي القضاء في الجانب الشرقي من بغداد[٥] وكان ذلك سنة (١٦١هـ/ ٧٧٧م)، هو ومحمد بن علاثة الكلابي[٦] فكانا يقضيان في المسجد الجامع في الرصافة، أحداهما في أدناه والآخر في أقصاه، وكان عافية أكثرهما دخولاً على المهدي[٧] فهو أحد أصحاب أبي حنيفة الذين يذاكرونه ولا ترفع المسالة حتى يحضر ويوافق عليها[٨].

ومنهم أيضاً نوح بن دراج، أبو محمد الكوفي مولى النخع (ت١٨٢هـ/٧٩٨م) ولي القضاء في الجانب الشرقي ببغداد[٩] بعد عمر بن حبيب[١٠] وولي حفص بن غياث بن طلق أبو عمر النخعي الكوفي (ت١٩٥هـ/ ٨١٠م) القضاء في الجانب الشرقي سنة (١٧٧هـ/ ٧٩٣م)[١١] وهو من أصحاب أبي حنيفة الذين قال فيهم أنتم مسار قلبي وجلاء حزني[١٢].

ومن العلماء الذين تولوا القضاء في الشرقية ببغداد بعد حفص بن غياث، الحسين بن الحسن بن عطية العوفي (ت سنة ٢٠١هـ/ ٨١٦م)، استقضاه المهدي إذ كان من أصحابه، ثم ولي قضاء عسكر المهدي في خلافة هارون الرشيد ثم عزل ولم يزل ببغداد إلى أن توفي بها[١٣] ولما صرف المهدي الحسين بن عطية العوفي بالمرة الأولى استقضى مكانه عون بت عبد الله بن عون بن عتبة بن مسعود الكوفي (ت١٩٣هـ/ ٨٠٨م)[١٤] ومن علماء الكوفة الذين تتلمذوا على أبي حنيفة وتولوا القضاء في الشرقية ببغداد، أسد ابن عمرو البجلي (ت١٩٠هـ/ ٨٠٥م)[١٥] وقد اختلفت المصادر بشأن تاريخ توليته القضاء، فابن سعد ذكر أنه بعد الحسين بن عطية العوفي[١٦] أما وكيع فذكر أنه استقضي في بغداد بعد حفص بن غياث[١٧].

أما الشخصية التي تعد الأبرز من بين علماء الكوفة الذين تولوا القضاء ببغداد فهو الفقيه أبو يوسف القاضي (ت١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، فقد صيره المهدي مع ابنه الهادي وهو ولي عهده وكان معه بجرجان، حين أتته الخلافة، ثم قدم معه بغداد فولاه قضاءها[١٨] وعندما استحدث الرشيد منصب قاضي القضاة في بغداد كان أبو يوسف أول من تقلد هذا المنصب[١٩] ويعود ذلك لغزارة علمه ودرايته بالشؤون القضائية، فقد كان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي وتتلمذ على عبد الرحمن بن أبي ليلى، ثم على أبي حنيفة النعمان بن ثابت[٢٠] وكان من أصحاب أبي حنيفة العشرة فقد ذكر حماد بن أبي ليلى أنه كان في أولهم[٢١] وكان النهاية في العلم والحلم والرياسة والقدر والجلالة[٢٢].

---

(١) وزير المقتدر بالله والقاهر بالله (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م). ينظر: الخطيب - تاريخ بغداد، ١٢/ ١٦.

(٢) الوزير أبو الفضل الخراساني ثم العراقي، كان من رجال العلم توفي بواسط ودفن ببغداد سنة ٣١١هـ الذهبي - سير أعلام النبلاء، ١٤/ ٣٥٦- ٣٥٩.

(٣) الطبري - تاريخ، ١٠/ ٢١؛ التنوخي، الفرج بعد الشدة ١/ ٣٢١.

(٤) وكيع - أخبار القضاء، ٣/ ٢٤٥، ٢٤٧، ٣٢٦.

(٥) ابن سعد - الطبقات، ٧/ ٢٣٩؛ وكيع - أخبار القضاة، ٣/ ٢٥١-٢٥٢؛ الخطيب - تاريخ بغداد، ١٢/ ٣٠٨.

(٦) أبو اليسير، محمد بن عبد الله بن علاثة العقيلي الجزري، ولي القضاء للمهدي (ت١٦٨هـ)، ينظر: الذهبي - سير أعلام، ٧/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٧) وكيع - أخبار القضاة، ٣/ ٣٥١- ٢٥٢؛ الطبري - تاريخ، ٨/ ١٤٠؛ التنوخي - نشوار المحاضرة، ٨/ ١٥١-١٥٢، الخطيب - تاريخ بغداد، ١٢/ ٣٠٨.

(٨) الخطيب - تاريخ بغداد، ١٢/ ٣٠٨.

(٩) وكيع - أخبار القضاة، ٣/ ٢٨٥، ٣٢٣؛ الخطيب - تاريخ بغداد، ١٣/ ٣٣٣١٥- ٣١٨؛ الذهبي - ميزان الاعتدال، ٤/ ٢٧٦.

(١٠) عمر بن حبيب العدوي من أهل البصرة

(١١) الخطيب - تاريخ بغداد،٨/ ١٨٨ وما بعدها؛ ابن خلكان - وفيات الاعيان، ٢/ ١٩٧ - ٢٠١؛ تقي الدين الغزي، التميمي الداري الحنفي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ٣/ ١٧٣.

(١٢) الخطيب - تاريخ بغداد، ٨/ ١٨٨وما بعدها..

(١٣) ابن سعد - الطبقات، ٧/ ٢٣٩؛ وكيع - أخبار القضاة، ٣/ ٢٦٥؛ الخطيب - تاريخ بغداد،٨/ ٢٩-٣٢؛ الذهبي - تاريخ الإسلام؛ حوادث، ٢٠١ - ٢١٠، ص ١٠٤- ١٠٦.

(١٤) وكيع - أخبار القضاة، ٣/ ٣٢٦؛ الخطيب - تاريخ بغداد، ١٢/ ٢٩٢: الذهبي - تاريخ الإسلام، حوادث الوفيات، ١٩١- ٢٠٠، ص٣٢٨.

(١٥) ابن سعد - الطبقات، ٧/ ٢٣٩؛ الذهبي - ميزان الاعتدال، ١/ ٢٠٦ - ٢٠٧.

(١٦) الطبقات، ٢٣٩/٧.

(١٧) أخبار القضاة،٢٨٥/٣.

(١٨) ابن سعد - الطبقات، ٧/ ٢٣٨- ٢٣٩؛ ابن النديم - نشوار المحاضرة، ٢٥٢/١ -٢٥٤؛ الخطيب - تاريخ بغداد، ١٤/ ٢٤٢؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء؛ كحالة عمر رضا- معجم المؤلفين، ١٣/ ٢٤٠.

(١٩) الخطيب - تاريخ بغداد، ٢٤٢/١٤، ٢٤٥- ٢٤٦؛ عرنوس، محمود محمد - تاريخ القضاء في الإسلام، ص ٩٧.

(٢٠) ابن سعد - الطبقات، ٧/ ٢٣٨ - ٢٣٩؛ الشيرازي - طبقات الفقهاء ص ٣٤٥.

(٢١) الخطيب - تاريخ بغداد، ١٤/ ٢٣٥ - ٢٤٦.

(٢٢) م.ن، ٢٤٥/١٤.

وظل أبو يوسف على المنصب قاضي القضاة حتى توفي سنة ١٨٢هـ/ ٧٩٨م[١] وتولي من بعده هذا المنصب الفقيه الكوفي محمد بن الحسن الشيباني (ت١٨٩هـ/٨٠٤م) وكان قبل ذلك قاضياً على الرقة[٢].

ومن أصحاب أبي حنيفة الذين تولوا القضاء ببغداد علي بن ظبيان، أبو الحسن العبسي الكوفي، فقد تولى قضاء الجانب الشرقي ببغداد[٣] إذ ذكر وكيع أنه ولي القضاء بعد عزل أسد بن عمرو البجلي[٤] ثم ولاه الرشيد قاضياً للقضاة وكانت وفاته سنة (١٩٢هـ/ ٨٠٧م)[٥].

وتولى الفقيه محمد بن سماعة بن عبيد الله التميمي (ت٢٣٣هـ/ ٨٤٧م)، قضاء الجانب الغربي في بغداد وكان من أصحاب أبي يوسف وظل قاضياً عليها حتى ضعف بصره وعزله المأمون (سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م)[٦] ومنهم أيضاً المقرئ المحدث الفقيه أبو هشام، محمد بن يزيد الرفاعي الذي تولى فيها القضاء سنة (٢٤٢هـ/٨٥٦م)[٧] ومات ببغداد وهو قاضيها سنة (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م)[٨].

وزيادة على ما مر من علماء الكوفة الذين تولوا القضاء في بغداد، هناك أحد أبرز علمائها أيضاً هو إبراهيم بن أبي العنبس، أبو إسحق الزهري (ت٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، الذي ولي القضاء فيها بعد أحمد بن محمد بن سماعة، قال محمد بن خلف بن وكيع: «كتبت عنه وهو على قضاء مدينة المنصور سنة (٢٥٣هـ/ ٨٦٧م) »[٩].

وأخر من تولى القضاء من علماء الكوفة في بغداد خلال مدة الدراسة التي بين أيدينا محمد بن صالح أبو الحسن الهاشمي المعروف بابن أم شيبان[١٠] إذ ولي القضاء ببغداد سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م)[١١].

وهكذا استمر أصحاب مدرسة الرأي في الفقه الذين تخرجوا في مدرسة الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت في الكوفة يتناوبون على منصب القضاء في بغداد واحداً بعد الآخر ويتبين لنا من ذلك حجم الإسهام الذي أداه هؤلاء القضاة الفقهاء في رسم معالم الحركة الفكرية في بغداد، ولاسيما منذ أن استحدث الرشيد منصب قاضي القضاة في بغداد وتولاه أبو يوسف القاضي، فقد أسندت إليه مهمة اختيار القضاة في العراق والأمصار وتقديم أسماءهم للخليفة هارون الرشيد فيعين من أشار به أبو يوسف[١٢] وبهذا استقل أبو يوسف في أمور القضاء والقضاة في الدولة فهو الذي يعينهم ويراقب أعمالهم ويعزلهم عند الاقتضاء حتى لقب بقاضي قضاة الدنيا[١٣] وبذلك استطاع أبو يوسف أن يخدم المذهب الحنفي، مذهب أهل الرأي والقياس فقد كان لا يشير على الرشيد بتولية القضاء في الدولة إلا من كان من أتباع المذهب الحنفي ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل: كانت أقضيتنا في أيدي أصحاب أبي حنيفة ما تنزع حتى رأينا الشافعي فكان أفقه الناس في كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ)[١٤].

ولم يكتف أبو يوسف بذل بل أسهم في حفظ المذهب الحنفي من الضياع فأبو حنيفة لم يدون آراءه الفقهية في كتاب بل كان أبو يوسف أول من دول ذلك وأخرج في ذلك كتباً مثل كتاب الآثار وكتاب (الرد على الأوزعي) وكتاب (اختلاف الأمصار) وكتاب (الرد على مالك بن أنس) وكتب أخرى لم يصل منها إلا كتابان هما كتاب (الخراج) وكتاب (اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى)[١٥].

(١) ابن سعد - طبقات، ٢٣٨/٧ - ٢٣٩؛ المسعودي - مروج الذهب، ٣/ ٣٤٠؛ ابن النديم - الفهرست، ص ٢٥٦؛ الخطيب - تاريخ بغداد، ١٤/ ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٢) الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص١٢٥. ١٣٠؛ الكيلاني، عبد الرزاق - من مواقف عظماء المسلمين ص ١٣٧ - ١٣٩.

(٣) الذهبي - تاريخ الاسلام، حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠، ص ٣١١ - ٣١٢، وينظر له أيضا: العبر في خبر من غبر ١/ ٢٤٠؛ ابن كثير - البداية والنهاية، م ٥، ج١٠/ ٢١٧؛ ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١/ ٣٣٠.

(٤) أخبار القضاة، ٢٣٠/٣.

(٥) م.ن؛ الذهبي - العبر، ٢٤٠/١؛ ابن كثير - البداية والنهاية م٥، جـ٢١٧/١؛ ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب، ١/ ٢٣٠.

(٦) وكيع - أخبار القضاة، ٢٣١ - ٢٤٠، ص٣٢٤ - ٣٢٥؛ كحالة - معجم المؤلفين، ٥٧/١٠.

(٧) التنوخي - نشور المحاضرة، ٢٠٥/٥؛ الخطيب - تاريخ بغداد، ٣٧٥/٣ - ٣٧٦؛ الذهبي -تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات، ٢٤١ - ٢٥، ص٤٨٦؛ العبر، ٣٥٧/١؛ وينظر له: معروفة القراء الكبار، ١/ ٢٢٤ - ٢٢٦؛ العسقلاني - تهذيب التهذيب، ط٢، بيروت، دار أحياء التراث العربي ١٩٩٣م، ٣٣٦/٥ - ٣٣٧؛ ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب، ١١٩/٢.

(٨) التنوخي - نشوار المحاضرة، ٢٠٥/٥؛ الذهبي -تاريخ الإسلام، حوادث، ٢٤١ - ٢٥٠، ٤٤٤٨٥ - ٤٨٧؛ العبر، معرفة القراء الكبار، ١/ ٢٢٤ - ٢٢٦.

(٩) وكيع - أخبار القضاة، ١٩٨/٣، ٢٨٤؛ تقي الدين الغزي - الطبقات السنية، ١/ ١٨٢ - ١٨٣.

(١٠) الخطيب - تاريخ بغداد، ٥/ ٣٦٣ - ٣٦٤؛ الذهبي -تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات، ٣٥١- ٣٨٠، ص٢١١، ص٤٢٦- ٤٢٧.

(١١) الذهبي- تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات، ٣٥١- ٣٨٠، ص٤٢٧.

(١٢) عرنوس- تاريخ القضاء في الإسلام، ص٩٧.

(١٣) ابن كثير- البداية والنهاية، م٥ ج١/١٨٧.

(١٤) عباس يونس- حياة الإمام الشافعي، بحث ضمن كتاب الإمام الشافعي، ماليزيا، كوالالمبور، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والتعليم، ايسيكو، ١٩٩٤م، ١/٥١-٥٢،

(١٥) ابن النديم- الفهرست، ص٢٥٦- ٢٥٧؛ بروكلمان- تاريخ الأدب العربي، ٣/٢٤٥.

ومن خلال منصب قاضي القضاة استطاع أبو يوسف أن يصقل المذهب الحنفي صقلاً عملياً، لكونه قد فرض عليه مواجهة مشكلات الناس ومعالجتها بالطرائق الموضوعية، وأن يستمد قياسه واستحسانه من واقع الحياة العملية لا من الفروض النظرية[1] وما كان الناس -حتى أصحاب الحديث- يجدون مندوحة عن إقرارها والعمل بمقتضاها.

وبهذا ومن خلال تولي أبي يوسف القاضي منصب قاضي القضاة في بغداد أصبح من الضروري على كل من أراد أن يتولى القضاء أن يتوجه نحو بغداد منع القرار وأن يأخذ بالمذهب الحنفي، المذهب الذي دعمه أبو سيف اعتمده في اختيار القضاة.

رابعاً: تشجيع الخلفاء للحركة العلمية مع أمثلة وشواهد لنصيب الكوفيين من هذه الدعاية:

لعل مما يلفت النظر أن الخلفاء العباسين الأوائل كانوا جلهم من الخلفاء العلماء فقد شب معظمهم على حب العلم منذ صغرهم إذ تتلمذ الكثير منهم على كبار العلماء في عصرهم فقد جرت السنة منذ العصر الأموي أن يستقدم الخلفاء المؤدبين لأولادهم من العلماء المشهورين في عصرهم لهذا فلا غرابة أن يحتفي الخلفاء والأمراء بأهل العلم فهم أنفسهم كانوا من طلبة العلم ومريديه وإذا كان الخليفة أو الأمير عالماً زهاً في أيامه العلم[2] فهذا أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م) نفسه كان منذ صغره يطلب الحديث والفقه، قيل يوماً: يا أمير المؤمنين، هل بقي لك شيء من اللذات لم تنله؟ قال: شيئاً واحداً، قالوا: وما هو؟ قال: قول المحدث للشيخ: من ذكرت رحمك الله؟ولهذا اجتمع وزراؤه وكتابه، وجلسوا حوله وقالوا: ليمل علينا أمر المؤمنين شيئاً من الحديث، فقال لهم: لستم بهم إنما هم الدنسة ثيابهم، المشققة أرجلهم، تارة بالعراق، وتارة باليمن، فهؤلاء نقلة الحديث[3].

ولعل حب المنصور للعلم وتشجيعه العلماء على التأليف كان وراء تأليف الإمام مالك لكتابه «الموطا» فهو القائل له حين أشار عليه بتأليفه: يا أبا عبد الله لم يبق على وجه الأرض أعلم مني ومنك، وإني قد شغلت بالخلافة، فضع أنت للناس كتاباً ينتفعون به، تجنب فيه رخص ابن عباس وشدائد ابن عمر ووطئه للناس توطئة[4].

ويعترف الإمام مالك بفضل المنصور عليه تأليف الموطا قائلاً: فو الله لقد علمني التأليف يومئذ[5]. وذكر المسعودي (٣٤٦/ ٩٥٧م) إن سبب تأليف محمد بن إسحق (١٥١هـ/ ٧٦٨م) لكتاب السيرة هو الخليفة أبو جعفر المنصور[6] وقد قرب على بلاطه علماء الفقه والحديث[7] ولم يكتف المنصور بحبه للعلم وتحصيله له، بل كان يحرص على أن يزرع ذل في قلوب أبنائه، ولاسيما المؤهلين لاستخلافه في منصبه، فقد قال موصياً ابنه المهدي: يا بني، لا تجلس مجلساً إلا ومعك فيه من أهل العلم من يحدث، فإن محمد بن شهاب الزهري قال: الحديث ذكر لا يحبه إلا ذكران الرجال، ولا يبغضه إلا مؤنثوهم، وصدق أخو زهرة[8] وكان مع براعته في الفقه والحديث كلفا في علم الفلسفة والنجوم، قال محمد بنعلي الخراساني في المنصور حين سأله القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ/ ٩٣٢-٩٣٤م) عن أخلاق بني العباس، وشيمهم: هو أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم، وأول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات[9] فهناك كتاب (كليلة ودمنة) وكتاب (السندهند) وترجمت له كتب أرسطو طاليس من المنطقيات وغيرها، وكتب المجسطي والأرثماطيقي، وكتاب أقليدس، وسائر الكتب القديمة، من اليونانية والرمانية، والفهلوية والفارسية والسريانية[10].

ونظر كذلك في العلم وقرأ المذاهب وارتاض في الآراء ووقف على النحل وكتب الحديث فكثرت في أيامه روايات الناس واتسعت عليهم علومهم[11].

ومن أبرز جوانب شخصية المنصور تقريبه للعلماء وإحاطتهم بالرعاية والاهتمام واستشارته لهم وإصغائه

(١) الخطيب- تاريخ بغداد، ١٤/٢٣٥؛ ابن عبد البر- الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء ص١٧٢.

(٢) زيدان، جورجي- تاريخ آداب اللغة العربية، ١/٣٢٦؛ البشير، مصطفى- الحياة الأدبية في مجالس الخلفاء العباسين حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، ١٩٩٤م، ص٣٤.

(٣) ابن كثير- البداية والنهاية، م٥، ج١/١٢٩؛ السيوطي- تاريخ الخلفاء، ص٢٦٦- ٢٦٧.

(٤) ابن خلدون- المقدمة، بيروت، دار العودة، د.ت، ص١٤.

(٥) ابن خلدون- المقدمة، ص١٤.

(٦) مروج الذهب، ٤/٢٢٣.

(٧) بروكلمان- تاريخ الشعوب الإسلامية، ص١٨٠.

(٨) الطبري- تاريخ، ٨/٧٢؛ ابن كثير- البداية والنهاية، م٥، ١٠/١٢٩.

(٩) المسعودي- مروج الذهب، ٤/٢٢٣؛ المقريزي- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك م١ ١/١٥؛ عيد، محمد- أصول النحو العربي، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٣م، ص٧.

(١٠) المسعودي- مروج الذهب، ٤/٢٢٣؛ صاعد الأندلسي ابن أحمد بن عبد الرحمن (ت٤٦٢هـ/١٠٦٩م)- طبقات الأمم، ص٥٧؛ القفطي- أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص١٨٣؛ السيوطي- تاريخ الخلفاء، ص٢٦٩؛ أمين- ضحى الإسلام، ١/٢٦٩-٢٧٠.

(١١) المسعودي- مروج الذهب، ٤/٢٢٣؛ السيوطي- تاريخ الخلفاء، ص٢٦٩- ٢٧٠.

لمواعظهم، ونجد أسماء كثيرة من علماء عصره تتردد عليه، منهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت (١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، وسفيان الثوري (ت١٦١هـ/ ٧٧٧م) من علماء الكوفة[١]. ولعل من أبرز الشواهد الدالة على اهتمامه بالعلم وتقديره للعلماء وصيته لشرقي بن القطامي الكوفي مؤدب المهدي: علمه الأدب وأخبار العرب ومكارم الأخلاق والأشعار[٢]... وكذلك طلبه من المفضل الضبي الكوفي (ت١٧٨هـ/ ٧٩٤م) اختيار الأشعار المختارة والتي عرفت بالمفضليات[٣].

زيادة على ذلك ما ناله الشاعر الكوفي حماد عجرد (ت١٦١هـ/ ٧٧٧) من عطاياه فقد منحه المنصور في أحدى عطاياه خمسة آلاف درهم حين مدحه بعد وفاة أخيه السفاح، وهي أيضاً دليل على سخاء المنصور على أهل العلم وتقديره لهم[٤].

وقد سار المهدي على نهج واله فأخذ بنصيحة أبيه، فطلب العلم[٥] فهو أول من أمر بتصنيف الكتب للرد على الزنادقة[٦] وإلى جانب اهتمامه بالناحية الدينية فقد اهتم بالناحية الأدبية، فكان تشجيعه للأدب والأدباء وراء تاليف بعض الكتب الأدبية والأدباء وراء تاليف بعض الكتب الأدبية، قال المفضل بن محمد الضبي الكوفي (ت١٧٨هـ/ ٧٩٤م) قال لي المهدي: اجمع لي الأمثال ما سمعتها من البدو وما صح عندك، قال: فكتبت له الأمثال وحروب العرب فوصلني وأحسن إلي[٧].

وطلب كذلك من الهيثم بن عدي الأخباري الكوفي (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م) إن يروي له عن الأعراب شحهم ولؤمهم وكرمهم وسماحتهم[٨] ومن الأعمال التي قام بها المهدي وتدل على حبه للشعر والشعراء ومعرفته له، إنه ان يجمع الشعراء ويستنشدهم بل وفي بعض الأحيان يختبرهم[٩].

أما عن موقف المهدي من الغناء والندماء، فقد ذكر الجاحظ: أن المهدي في أول أمره كان يحتجب عن النجماء متشبهاً بأبيه المنصور حوالي السنة ثم ظهر لهم[١٠].

ولما بلغ المهدي حسن صوت إبراهيم الموصلي الكوفي المنشأ (ت١٨٨هـ/ ٨٠٣م) قربه إليه وأعلى شأنه بعد أن سمعه[١١].

ولما قدم أبو العتاهية الشاعر الكوفي (ت٢١١هـ/ ٨٢٦م) إلى بغداد أعجب الخليفة المهدي مديحه، فأخذ يغدق عليه الجوائز وأوسع له في مجالسه حتى أصبح أثيراً عنده[١٢] ويقال: إنه وصله على إحدى قصائده عن كل بيت بألف درهم[١٣] وهذا أبو دلامة الشاعر الكوفي (ت١٦١هـ/ ٧٧٧م)، يقر به المهدي حتى كان يخرج معه في رحلات الصيد[١٤] ويجيزه في أحدى المرات بأن ملأ حجره دراهم[١٥].

وبعد المهدي اعتلى أمر الخلافة ابنه موسى الهادي (١٦٩-١٧٠هـ/ ٧٨٥-٧٨٦م)، فُتابع سياسة أبيه في محاربة الزنادقة وتقريب الشعراء والمغنين ومن الشعراء الذين قربهم الهادي أبو العتاهية فكان يلازمه ويمدحه في كل مناسبة، وكانت عطاياه تنزل عليه كالمطر[١٦] ومن الذين لازموا الخليفة الهادي المغني الكوفي الشهير، إبراهيم الموصلي (ت١٨٨هـ/ ٨٠٣م)، وتذكر المصادر أنه قال له ولابن جامع المغني وهما بين يديه: من أطربني فله حكمه[١٧] ووصله في أحدى عطاياه مائة وخمسين ألف دينار وقيل سبعمائة ألف درهم[١٨].

أما الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) فيعد أحد أبرز خلفاء الدولة العباسية الذين نشطت الحركة العلمية في عهدهم، ويعود ذلك إلى رعايته لها، وتكريمه للعلماء فكان يحب الفقه والفقهاء، والشعر والشعراء، ويعظم في صدره الأدب والأدباء،

(١) ابن قتيبة- الإمامة والسياسة، منسوب، ٢/١٤٣؛ ابن كثير- البداية والنهاية، م٥، ١٠/١١٨.

(٢) المسعودي- مروج الذهب، ٣/٣٢٠؛ مزبان، سهيلة- الحركة الفكرية في العراق في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٣م، ص١٤٣؛ الرفاعي، أحمد فريد- عصر المأمون، ١/١٧٤.

(٣) ابن النديم- الفهرست، ص٧٥؛ للوقوف على هذه الأشعار وأصحابها، ينظر: المفضل الضبي- المفضليات، وللوقوف على شرح هذه القصائد، ينظر: التبريزي، يحيى بن علي (ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)- شرح اختيارات المفضل.

(٤) البشير- الحياة الأدبية في مجالس الخلفاء، ص٤٦.

(٥) السيوطي- تاريخ الخلفاء، ص٢٧١- ٢٧٢.

(٦) المسعودي- مروج الذهب، ٤/٢٢٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦/٧٥؛ السيوطي- تاريخ الخلفاء، ٢٧١؛ قدورة، زاهية- الشعوبية وأثرها الاجتماعية والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول، ص١٣٢.

(٧) ابن النديم- الفهرست، ص٧٥.

(٨) ابن خلكان- وفيات الأعيان، ٦/١٠٧-١٠٨.

(٩) الأصفهاني- الأغاني، ٤/٢٨٢.

(١٠) أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)- التاج في أخلاق الملوك، وينظر: أمين ضحى الإسلام، ١/١٠٨.

(١١) ابن خلكان- وفيات الأعيان، ١/٤٢؛ أمين- ضحى الإسلام، ١/١١٠-١١١.

(١٢) أبو العتاهية، الديوان، ص٣٧٥؛ القيرواني- زهر الآداب، ٢/٣٨٠؛ ابن كثير- البداية والنهاية، م٥، جـ١/٢٧٧.

(١٣) الأصفهاني- الأغاني، ٤/٣٠٨-٣٠٩.

(١٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٦/٤٤٤.

(١٥) ابن قتيبة- عيون الأخبار، ٣/١٣٤؛ الأصفهاني- الأغاني، ١٠/٤١٩.

(١٦) الأصفهاني- الأغاني، ٤/٢٩٦-٣٠٢.

(١٧) م.ن- ٥/١٢٤-١٢٥؛ الرفاعي- عصر المأمون، ١/١٧٨.

(١٨) الجاحظ- التاج، ص٨٢- ٨٣؛ الأصفهاني- الأغاني، ٥/١١١.

وكان قبل توليه الخلافة يجالس العلماء والزهاد فكان مؤاخياً للفقيه الكوفي، سفيان الثوري[١]. كما درس في أول حياته على كبار علماء عصره، كالمفضل الضبي والكسائي[٢]. وهم أهل الأدب والقراءات، واللغة، والنحو من أهل الكوفة، ولم يكتف بهذا بل رحل إلى العلماء لطلب العلم، وحضور مجالسهم، فقد رحل إلى الإمام مالك بن أنس وسمع منه الموطأ[٣]. ولهذا نجده قد وعي الكثير من صنوف المعرفة: ففي علم القراءات نجده يتابع أخبار القراء. ويسأل الكسائي أحد قراء الكوفة المشهورين عن اقرأ الناس للقرآن[٤].

أما عن الحديث النبوي الشريف فنراه يطلبه من أبي بكر بن عياش الكوفي الحناط (ت١٩٣هـ/ ٨٠٨م)[٥] ومن صور رعايته للفقه والفقهاء أنه كان يجمعهم في رمضان من كل سنة، يلقى عليهم المسائل، ويدير حولها الحوار والنقاش، وكان من بين العلماء الذين نالوا عنده الحظوة وحضر مجالسه أبو يوسف القاضي والحسن بن زياد اللؤلؤي ومحمد بن الحسن الشيباني[٦] وكان إذا حج اصطحب معه مائة من الفقهاء وأبنائهم[٧].

أما عن أوجه تكريمه للعلماء فقد كان يستشيرهم في قضاياه الخاصة ورؤياه التي يراها في المنام[٨]. ويستشير أبا معاوية الضرير بالغزو والجهاد[٩] وهذا فضلاً عن اهتمامه بتأليف الكتب الفقية التي تنظم اقتصاد الدولة الإسلامية، فقد طلب من أبي يوسف قاضي القضاة أن يؤلف كتاباً يجمع بموجبه خراج الدولة الإسلامية، بموجب الشريعة الإسلامية وسماه أبو يوسف الخراج[١٠].

وكان الرشيد من العارفين بالنحو، ولاسيما أنه تلميذ النحوي الكوفي الكسائي، فكان يرد العلماء في هذا الحقل حين يحس أن هناك من يلحن، فقد حدث أن النحوي الكوفي المشهور، يحيى بن زياد الفراء، لحن أمامه فقال له: أتلحن؟ فقال: يا أمير المؤمنين: إن طباع البدو الأعراب وطباع أهل الحضر اللحن، فإذا تحفظت لم ألحن، فاستحسن قوله[١١].

أما الشعر والشعراء فقد حظيا باهتمامه، فنجده يتابع الشعر ويستمع للشعراء يسألهم ويتقرب منهم، ومن الشواهد على ذلك: سؤاله للمفضل الضبي (اللغوي الأديب الكوفي) عن أفضل بيت قالته العرب في الذئب، وأجازه بخاتم كان في يده قيمته ألف وستمائة دينار[١٢] ويقال: «إنه كتب لأمية الشاعر الكوفي الملقب بصريع الغواني، مسلم ابن الوليد (ت٢٠٨هـ/ ٨٢٣م) بماء الذهب[١٣] كثيراً ما كان يطلب أبا العتاهية ليستمع إلى أشعاره في الزهد»[١٤].

أما عن الغناء والمغنين فقد كانا موضع اهتمام الرشيد ورعايته، فكان يتابع أخبارهم ويسأل عنهم، ومن ذلك سؤاله لبرصوما الزامر عن أخبار ابن جامع وإبراهيم الموصلي (النديم الكوفي ١٨٨هـ/ ٨٠٣م)، وقد لقب بذلك لأنه كان نديماً للرشيد[١٥] وكثيراً ما كان الرشيد يجمع المغنين في بيته[١٦]، ويطلب منهم أن يختاروا الأصوات وكان منها المائة صوت

(١) الخطيب- تاريخ بغداد، ١٤/٧-١٣؛ ابن كثير- البداية والنهاية، م٥ جـ١/٢٢٢ وما بعدها: ابن وادران، حسين بن محمد (كان حيا ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م)- تاريخ العباسين، تحقيق منجي الكعبي بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ص٧١.

(٢) الخطيب- تاريخ بغداد، ١٤/ ٤٠٣؛ ابن الجزري- غاية النهاية، ٢/ ٣٠٧.

(٣) ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب، ١/ ٢٩١.

(٤) الذهبي- تاريخ الإسلام، حوادث ٢٠١- ٢١٠، ص١١١؛ حوادث ١٩١- ٢٠٠، ص٢٥؛ معرفة القراء ١/ ١٦٤-١٦٥؛ ابن الجزري- غاية النهاية، ١/ ٢٤٧.

(٥) الخطيب- تاريخ بغداد، ١٤/ ٣٧٥؛ ياقوت الحموي- معجم الأدباء، ٧/ ١٠٣- ١٠٤.

(٦) الكوثري، محمد زاهد- حسن التقاضي في سيرة أبي يوسف القاضي ص٦٤، حامد- الحسن بن زياد وفقه، ص٢٠٦- ٢٠٧.

(٧) الخطيب- تاريخ بغداد، ١٤/ ٦؛ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطب العلوي (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠م)- الفخري في الآداب السلطانية، بيروت، دار صادر د.ت، ص١٤٣؛ أحمد، منير الدين- تاريخ التعليم عند المسلمين، والمكانة الإجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري مستقاة من تاريخ الخطيب البغدادي، ص١١٢- ١١٣؛ ضيف، شوقي العصر العباسي الأول، ص٣٦- ٣٧.

(٨) المقريزي، المقفى الكبير، ٥/ ٣٥٤- ٣٥٥؛ ابن وادران- تاريخ العباسيين، ص٩٥- ٩٦.

(٩) الخطيب- تاريخ بغداد، ١٤/ ٧.

(١٠) ابن خلكان- وفيات الأعيان، ٦/ ٣٨٢؛ أبو رحمة- هارون الرشيد ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٣م، ص١٠٠، ص١١٧؛ حامد- الحسن بن زياد وفقه، ص٧٣.

(١١) الزبيدي، طبقات اللغويين والنحويين، ص١٣١؛ القفطي- أنباه الرواة، ٤/ ٧-٨.

(١٢) الخطيب- تاريخ بغداد، ١٣/ ١٢٣؛ اليماني- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، ص٣٥٢؛ الفيروز أبادي- البليغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص٢٢٥.

(١٣) ابن المعتز، عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد (٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) - طبقات الشعر، ص٣٣٥، الهواري - الشعر والشعراء، ص٢٥١.

(١٤) أبو العتاهية - الديوان، ص٢٣٠؛ الحميدي، الذهب المسبوك في وعظ الملوك، ص٢١٦.

(١٥) ابن عبد رب - العقد الفريد، ٦/ ٤٠؛ العاني، سامي مكي - معجم القاب الشعراء، ط١، دبي، مكتبة الفلاح، ١٩٨٢م، ص٢٣٦.

(١٦) المسعودي - مروج الذهب، ٣/ ٣٦٠-٣٦٢؛ الاصفهاني - الأغاني، ٥/ ١١٧، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٩-١٥٠.

التي بنى عليها أبو الفرج الأصفهاني كتابه الأغاني[1] فنراه يسأل إبراهيم الموصلي كيف يصوغ الألحان[2]. وجعل للمغنين مراتب وطبقات[3].

أما الجهد الكبير والأثر البارز الذي توج جهود الرشد في رفده للحركة الفكرية فهو ما ناله بيت الحكمة من رعاية واهتمام في عهده، فقد وفر له النساخ والمجلدين والمترجمين من مختلف اللغات[4]. ونراه كذلك يهتم بتربية أبنائه وتنشئتهم تنشئة علمية، فقد دخل مرة على المأمون وهو ينظر في كتاب، فقال: ما هذا؟ فقال كتاب يشحذ الفكرة ويحسن العشرة، فقال: «الحمد لله الذي رزقني من ينظر بعين قلبه أكثر مما ينظر بعين وجهه»[5] ولهذا كان الرشيد يرسم الطريق والمنهاج لمؤدبي أبنائه كي يسيروا عليه ويهتدوا به، وخير مثال على ذلك وصيته للأحمر، علي بن المبارك (ت١٩٤ - ٨٠٩م) مؤدب ولده الأمين[6]. قال الأحمر النحوي: «بعث إلى الرشيد لتأديب ولده الأمين، فلما دخلت قال: يا أحمر، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعتك عليه واجبة، فكن له حيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفه الآثار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره مواقع الكلام وبدئه..»[7] وطلب من الكسائي حين كان مؤدباً للأمين أن يأخذه بحرف حمزة[8] وطلب من أبي محمد اليزيدي النحوي البصري مؤدب المأمون أن يأخذ بحرف أبي عمرو[9].

ويرسل أبناءه الأمين والمأمون إلى محمد بن الحسن الشيباني الفقيه الكوفي ليسمعا منه كتاب السير الكبير[10] وكان الرشيد لسعة علمه ومعرفته بالكثير من العلوم يختبر مؤدبي أبنائه، وخير مثال على ذلك ما فعله مع الكسائي والمفضل الضبي وأبنيه الأمين والمأمون، حين اختبرهم في معاني القرآن ومعاني اللغة والشعر، وكان ذلك في مجلس مطول أوردته المصادر التاريخية والأدبية[11].

وعن سخائه وتكريمه لأهل العلم فقد حفلت الكتب التاريخية بالكثير من الشواهد والأدلة على ذلك منها على سبيل المثال ما أوردته المصادر من معلومات عن قيامه حين ولي الخلافة وزاره العلماء لتهنئته بما صار إليه، بفتح بيوت الأموال وأجازهم بجوائز قيمة[12] وما فرض لأهل العلم كل بحسب رتبته ودرجته العلمية، فقد كتب للأمصار كلها وإلى أمراء الأجناد: «أما بعد، فانظروا من التزم الأذان عندكم فاكتبوه في ألفي دينار من العطاء، وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الأمر من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم»[13].

ومن صور تكريمه للعلماء وسخائه عليهم أيضاً أنه أعطى الفقيه الكوفي (سفيان ابن عيينة (ت١٩٨هـ/ ٨١٣م)) مائة ألف درهم[14] وكتب الكسائي في بداية تأديبه للأمين أبياتاً من الشعر يشكو فيها العزبة فأمر له بعشرة آلاف درهم وجارية حسناء وخادم[15].

ولما توفي أبو يوسف القاضي (سنة ١٨١٢هـ/ ٨٩٨م)، مشى أمام جنازته وصلى عليها وقال حين دفنه: «ينبغي لأهل الإسلام أن يعزي بعضهم بعضاً بأبي يوسف»[16] ونجده لا يترفع عن العلماء بل ويكرمهم أيما إكرام حتى أنه يصب الماء عليهم وهذا ما حصل مع أبي معاوية الضرير، محمد بن خازم الكوفي المحدث الفقيه[17] ومن الصور الرائعة لتكريم الرشيد للعلماء أنه نظر وإذا بالأمين والمأمون يتسابقان في تقديم نعلي

(١) الأصفهاني - الغاني، ١/ ٣٨.

(٢) م.ن، ٥/ ١٥٣؛ مهنا، عبد الأمير - أخبار المغنيين في الجاهلية والإسلام، ط١، بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٠، ص٣٠-٣١.

(٣) السيوطي - تاريخ الخلفاء، ص٢٩٥؛ عباس، عبد الحليم - البرامكة في التاريخ، عمان، منشورات وزارة الثقافة والشباب، د.ت، ص١٠٠-١٠١.

(٤) القفطي - أخبار العلماء، ص١٦٨-١٦٩.

(٥) القيرواني - زهر الآداب، ١/ ١٨٤؛ وقد وهم العاملي، بهاء الدين بن حسين (ت١٠٣١هـ/ ١٦٢١م) حين ذكر أن الحادثة تمت بين المأمون واحد أبنائه، ينظر: المخلاة، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٥، ص٢١-٢٢.

(٦) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ٨/ ٤١٨، المسعودي - مروج الذهب، ٣/ ٣٥١.

(٧) المسعودي - مروج الذهب، ٣/ ٣٥١.

(٨) حمزة بن حبيب الزيات، أحمد القراء السبعة كوفي (ت ١٥٦هـ/ ٧٧٢م) - ابن النديم - الفهرست، ص٣٤.

(٩) أبو عمرو بن العلاء، زبان بن العلاء بن عمار، من أعلام القرآن واحد القراء السبعة، بصري، ابن النديم - الفهرست، ص٣٠-٣١، وينظر خبر الرواية عند الخطيب - تاريخ بغداد، ١٤/ ١٤٧؛ ابن الجوزي - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك - ١٠/ ١١٣؛ القفطي - أنباه الرواة، ٤/ ٣٢.

(١٠) الشيباني، كتاب السير الكبير، إملاء محمد بن أحمد السرخسي، ج١، مقدمة المحقق، ص١٢.

(١١) ابن أعثم الكوفي - الفتوح، ٨/ ٤١٦- ١٤٨؛ الطبري - تاريخ، ٨/ ٣٦٢، النحاس - صناعة الكتاب، ص٣٧-٣٨؛ الزجاجي - مجالس العلماء، ص٣٥- ٣٧؛ المسعودي - مروج الذهب، ٣/ ٣٤٩-٣٥٠؛ المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية - ٢/ ١٢٩- ١٣٠، السيوطي - الاشباه والنظائر في النحو ٥/ ١٠٦-١٠٨.

(١٢) ابن وادران - تاريخ العباسيين، ص٧١.

(١٣) ابن قتيبة - الإمامة والسياسة، ٢/ ١٥٧.

(١٤) البشير - الحياة الأدبية في مجالس الخلفاء، ص٤٩.

(١٥) ابن خلكان - وفيات الأعيان، ٣/ ٢٩٥.

(١٦) ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب، ١/ ٣٠١.

(١٧) الذهبي - تذكرة الحفاظ، ١/ ٢٩٤؛ الكردي، حافظ الدين بن محمد (ت٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م) - مناقب أبي حنيفة، ص١٠٩؛ الضمور، طالب - التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة مؤته ١٩٩٦م، ص٩٦.

الكسائي له فلما جلس سأل أين الناس أكرم خادماً؟ فقالوا: أمير المؤمنين، فقال: بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون وحدثهم الحديث[1].

ذلك هو الرشيد والحركة الأدبية والعلمية في عصره فقد كان من أشهر خلفاء بني العباس في فخامة مجلسه وروعته، وكان يحتشد في مجالسه أعلام العلماء من كل فن وعلن، فضلاً عن تشجيع بيت الحكمة ورفده بالكتب وإمداده بما يحتاج إليه من لوازم[2].

أما الأمين، محمد بن هارون الرشيد (١٩٣-١٩٨هـ/ ٨٠٨-٨١٣م) فقد قتل وله ثمان وعشرون سنة[3] وعلى الرغم مما ذكرت المصادر من أنه كان منهمكاً في اللهو واشتدت عنايته به، وإنه احتجب عن أخوته وأهل بيته[4] فقد روى الجاحظ عن إسحق ابن إبراهيم الموصلي أنه قال: «ما كان أعجب من أمر الخلوع... كان من أعطى خلق الله للذهب والفضة»[5] وذكر السيوطي: أنه كان له فصاحة وأدب[6]. ولكن قصر مدة خلافته واضطراب الأحوال فيها حال دون ذكر النشاطات الفكرية والثقافية في عهده.

ويعد المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٢٣م)، الخليفة الأبرز من بين الخلفاء العباسيين إذ بلغت العلوم في عهده أوج نشاطها وازدهارها، فقد كان حر الفكر، شغوفاً بالمعرفة، فلم يكد يستقر ببغداد بعد عودته من مرو، حتى جعل من مجلسه ندوة علمية كبيرة يتحاور فيها الفقهاء والعلماء والمتكلمون، ويتناظرون في كل فن وعلم[7]. قال يحيى بن أكثم: «أمرني المأمون عند دخوله بغداد سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) أن أجمع له وجوه الفقهاء، وأهل العلم من بغداد، فاخترت له من أعلامهم أربعين رجلاً، وأحضرتهم وجلس لهم المأمون، فسأل عن مسائل وأفاض في فنون الحديث والعلم»[8] وقال أيضاً: «كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه كل يوم ثلاثاء فإذ حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر المقالات ادخلوا إلى حجرة مفروشة وقيل لهم: أصيبوا من الطعام والشراب، وجدوا الوضوء، ومن خفه ضيق فلينزعه، ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فتبخروا وتطيبوا ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنون منه، ويناظرهم أحسن مناظرة وأنفها فلا يزالوا كذلك حتى تزول الشمس، ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون وقد جاءت براعة المأمون في الفقه والكلام وأيام الناس والفلسفة لكونه قرأ على أكابر العلماء منذ صغره فسمع عباد بن العوام ويسف بن عطية ومحمد بن خازم أبا معاوية الضرير[9] ودرس كذل الفقه على الحسن بن زياد اللؤلؤي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) وشهد له المحدث الكوفي عبد الله بن إدريس بحفظه، إذ سمع منه مائة حديث فأعادها عليه كما سمعها[10] أما عن ميوله واتجاهاته فقد كان من المؤيدين للمعتزلة فقرب أتباعها وازداد نفوذهم في قصر الخلافة ببغداد[11] وقد دفعه تبحره في مختلف العلوم إلى تاليف الكتب وذكر ابن النديم أسماء مؤلفاته[12] وكان يشجع العلماء على التاليف ويوفر لهم الظروف الملائمة، ومثال ذلك أنه أمر النحوي الكوفي أبا زكريا الفراء أن يؤلف له ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب فأمر أن تفرد له حجرة في حجر الدار ووكل له الجواري والخدم للقيام بما يحتاج إليه حتى لا ينشغل عن التاليف[13]. وكان إذا وقع الكتب الواردة أو الصادرة يوقع تحته مطالباً الالتزام بالنحو[14] لذلك كان على جليسه التحرز من الوقوع في اللحن، فكم من موقف ضبط فيه المأمون أهل اللغة والنحو بأنهم قد لحنوا، فهذا إسحق بن إبراهيم بن مصعب، قد كلم المأمون يوماً فلحن في بعض كلمه، فنظر إليه المأمون فخرج وجاء إلى أبي معاوية الضرير، محمد بن خازم الكوفي النحوي (ت١٩٤هـ/ ٨٠٩م) فعلمه النحو»[15].

كما حظي الشعر باهتمام المأمون، فكثيراً ما يجمع الشعراء عنده ليتذاكروا في الشعر والشعراء[16] فيسأل أبا

(١) ابن النديم - الفهرست، ص٧٢.

(٢) السباعي، مصطفى - من روائع حضارتنا، الجزائر، دارس الصديقية، د.ت، ص٢٣٤- ٢٣٥.

(٣) القلقشندي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، ١/ ٢٠٤.

(٤) م.ن، ١/ ٢٠٥.

(٥) التاج، ص٤٢-٤٣.

(٦) تاريخ الخلفاء؛ ص٢٩٧.

(٧) ضيف - العصر العباسي الأول، ص٣٠-٣١، ٣٩.

(٨) طيفور - كتاب بغداد ص٤٥، البشير - الحياة الأدبية في مجالس الخلفاء، ص ٣٩؛ عبد الرزاق، فهمي - العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، ص١٥٣؛ الهويمل، محمد - الحركة الفكرية في خلافة المأمون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة مؤتة، ١٩٩٦م، ص٣٢.

(٩) ابن النديم- الفهرست، ص١٢٩؛ الخطيب - تاريخ بغداد، ٣/ ٣٢٨؛ الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، ٢/ ٢٣٥.

(١٠) ابن كثير - البداية والنهاية، م٥، جـ١/ ٢١٧، هداره، محمد مصطفى - المأمون الخليفة العالم، ص٢٩.

(١١) أيوب، إبراهيم - التاريخ العباسي، ط١، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٩، ص٨٩-٩٠.

(١٢) الفهرست، ص١٢٩.

(١٣) الخطيب - تاريخ بغداد، ١٤/ ١٤٩ - ١٥٠؛ ابن الأنباري - نزهة الالباء، ص٨١، القفطي - أنباه الرواة، ٤/ ١٦؛ ياقوت الحموي - معجم الأدباءن ١٢/٢٠.

(١٤) القفطي - انباه الرواة، ٣/ ١٥٨.

(١٥) م.ن، ٣/ ٣٦٤.

(١٦) ابن وادران - تاريخ العباسيين، ١١٦- ١١٧.

العتاهية الشاعر الكوفي عن أحسن ما قيل في الموت[١]، ويسأل جلساءه أن ينشدوا من شعر دعبل الخزاعي الشاعر الكوفي المعروف (ت٢٤٦هـ/ ٨٦٠م)[٢] ونراه يختبر جلساءه حتى في الشعر، فقد سأل أبا عمروا لشيباني الكوفي (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م) عن أشعر الناس[٣].

وبلغت مكانه العلماء لدى المأمون أنه كان يستشيرهم في القضايا العامة والخاصة ومثال ذلك استشارته لوزيره أحمد بن يوسف الكاتب الكوفي حين أراد تولية غسان بن عباد السند سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م[٤]، واستشارته كذلك للشاعر الكوفي أبي العتاهية عن سبب الوحشة والملل وهي حالة خاصة مرت بالمأمون[٥].

وبلغت مكانة أحمد ابن يوسف الكاتب الكوفي عند المأمون أنه كان يوجه إليه في السحر ويحضر المعتصم وأصابه وقت الغداء حتى حسده في ذلك المعتصم[٦].

ولم يقف المأمون في رفد للحركة العلمية والفكرية عند هذا الحد بل نراه يستمر في رعاية بيت الحكمة، ورفدها بالكتب والمخطوطات، كما كان يفعل والده الرشيد من قبله حتى أضحت قبله أنظار العلماء وطلاب العلم والمعرفة لما أضيف إليها من مؤلفات في نوف المعرفة شتى، سواء بالشراء، أم بإبرام المعاهدات السلمية مع الروم البيزنطيين، فقد كان من شروط هذه المعاهدات حصوله على المخطوطات والمؤلفات اليونانية[٧]، أو عن طريق إرسال البعثات والبعوث إلى القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية، وغيرها من المدن للبحث عن مؤلفات علماء اليونان، وأجرى الأرزاق على طائفة من المترجمين لنقل هذه الكتب إلى العربية[٨]. ولم يقتصر جهد المأمون على جلب الكتب من بلاد الروم بل تعداه إلى ملوك البلدان الأخرى، ومنها ما جرى مع ملك الهند حين أرسل للخليفة كتاب (صفوة الأذهان) في حين أرسل إليها الخليفة المأمون كتاب (ديوان الأدب وبستان نوادر العقول)[٩].

(١) أبو العتاهية - الديوان، ص٩٣؛ الاصفهاني - الأغاني، ٤/ ٢٩٥.
(٢)الاصفهاني - الأغاني، ٢٠/ ٣١٥ -٣١٦.
(٣) ابن وادران - تاريخ العباسيين، ص٤١٩ - ٤٢٠.
(٤) طيفور - كتاب بغداد، ص ١٣١؛ الطبري - تاريخ - ٨/ ٦٢٠ -٦٢١.
(٥) طيفور - كتاب بغداد، ص١٥٩ - ١٦٠؛ الطبري - تاريخ - ٨/ ٦٥٨ - ٦٥٩؛ المسعودي - مروج الذهب، ٤٢٩/٣.
(٦) طيفور - كتاب بغداد، ص ١٣٢؛
(٧) ابن النديم - الفهرست، ص٣٠٤؛ مزبان - الحركة الفكرية في العراق، ص٣١-٣٢.
(٨) ول ديورانت - قصة الحضارة، ط١، ترجمة محمد بدران، بيروت، دار ألجيل، ١٩٩٢م، ج٢،م٤/٩٦.
(٩) ابن دحية الكلبي، حسن بن علي (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م) - النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ط١، صححه عباس العزاوي، بغداد، ١٩٤٦م، ص٥١ - ٥٢.

ولهذا كان لخزانة بيت الحكمة فهارس لأسماء الكتب الأجنبية وكان المأمون يقلب الفهارس بين الحين والآخر للإطلاع عليها[١٠].

واشتملت خزانة بيّت الحكمة في عصر المأمون على المصورات والخرائط الجغرافية والفلكية التي انتفع بها الجغرافيون منفعة لايستهان بها، وقد رأى المسعودي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) عديد من هذه المصورات، منها ما يصور الأقاليم السبعة ومنها الصورة المأمونية التي اجتمع على صنعها عدد من حكماء أهل عصره، صور فيها العالم بأفلاكه ونجومه، وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن المدن والأمم[١١]. حتى الأقلام التي كانت في عصره تعرض لها بالتعديل فعندما نظر في الأقلام المستعملة في الديوان طلب من ذي الريستين أن يدخل تعديلاً على هذه الأقلام وأرم أن تجمع حروف القلم المسمى بقلم النصف ويباعد ما بين سطوره ويسمى القلم الرياسي وهو نفسه الذي سمي القلم المأموني[١٢].

أما المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤١م) فعلى الرغم من أنه لم ينشأ نشأة علمية كما نشأ أخوته، فقد ذكرت المصادر التاريخية أنه كان كارهاً للتعليم والمؤدبين منذ صغره فقد كان معه مملوك يتعلم في الكتاب، فقال له أبوه: «مات يا ممد غرمك، فقال: نعم واستراح من الكتاب، فقال له أبوه: إن كان الكتاب ليبلغ منك هذا دعوه ولا تعلموه»[١٣]ولذلك كان يكتب كتاباً ضعيفاً ويقرأ قراءة ضعيفة[١٤].

وقد اعترف المعتصم نفسه في هذا الجانب إذ قال: «إني دون أخوتي في الأدب لحب أمير المؤمنين لي وميلي إلى اللعب وأنا حدث، فلم أنل مما نالوا»[١٥]. ومع ذلك فلم يكن خلياً من العلم والأدب، فقد كانت له كلمات فصيحة وشعر لا بأس به[١٦]. فنجده يسير سيرة أسلافه من الخلفاء فكان بلاطه حافلاً بالشعراء والأدباء منذ تولى الخلافة وفي ذلك يقول إسحق الموصلي: «لما ولي المعتصم دخلت إليه في جملة من الجلساء والشعراء فهنأه، القوم نظماً ونثراً»[١٧].

(١٠) كرد علي، محمد - رسائل البلغاء، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، ١٩١٣م، ص٤٧٩ - ٤٨٠؛ وينظر: مزبان - الحركة الفكرية في العراق، ص٣٤.
(١١) المسعود - التنبيه والإشراف، ص٣٣.
(١٢) ابن النديم - الفهرست، ص١١؛ الخضري بكن محمد - محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية والدولة العباسية، بيروت دار المعرفة، د.ت، ص٢٠٨، ٢١٠؛ الهويمل - الحركة العلمية ص٣٧.
(١٣) الكتبي - فوات الوفيات، ٤/ ٤٩؛ السيوطي - تاريخ الخلفاء، ص٣٣٤ز
(١٤) الخطيب - تاريخ بغداد، ٣/ ٣٤٣؛ السيوطي - تاريخ الخلفاء، ص٣٣٤.
(١٥) السيوطي- تاريخ الخلفاء، ص٣٣٨.
(١٦) م.ن، ص٣٣٨.
(١٧) الأصفهاني- الأغاني، ٥/ ١٩٨.

وكان الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤١-٨٤٦م) عالماً بالأدب والنسب والفقه، وسياسة الملك وغير ذلك، وكان رواية للشعر، حتى قيل لم يكن في خلفاء بني العباس أكثر رواية للشعر منه[١]. غني في مجلسه بشعر الأخطل:

وشادن مريح بالكأس نادمني

لا بالحصور ولا فيها بسوار

فقال: «أسوار أو سئار؟ فوجه إلى ابن الأعرابيين محمد بن زياد اللغوي الكوفي (ت٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، يسأله عن ذلك، فقال: سوار. وثاب، يقول لا يثب على ندمائه وسئار: مفضل في الكأس، سؤرك وقد رويا جميعاً، فأمر له الواثق بعشرين ألف درهم»[٢]. وسار الواثق على نهج أبيه وعمه في امتحان المحدثين والفقهاء وتشدد بالقول بخلق القرآن[٣]، حتى أنه امتحن الناس بذلك سنة (٢٣١هـ/ ٨٤٥م)[٤] وجالس كذلك العلماء وسألهم عن الطب ومنه إسحق بن حنين[٥]. ودخل على الواثق معلمه فبالغ في إكرامه وإجلاله، فقيل له في ذلك، فقال: «هو أول من فتق لساني بذكر الله وأدناني من رحمة الله تعالى»[٦].

أما المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٦-٨٦١م) فقد كان محباً للعلم والعلماء يستقدمهم ويتمنى لقاءهم، فقد استقدم المحدثين وأجزل عطاياهم[٧]. وأمرهم بالتحديث وإظهار السنة[٨]. فالخطيب البغدادي وابن الجوزي أوردا رواية عن إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: «سنة أربعة وثلاثين ومائتين فيها اشخص المتوكل الفقهاء والمحدثين، وكان فيهم مصعب الزبيري وإسحق بن أبي إسرائيل وإبراهيم بن عبد الله الهروي، وعبد الله وعثمان ابنا محمد بن أبي شيبة وكانا من أحفظ الناس، فقسمت بينهم الجوائز وأجريت عليهم الأرزاق، وأمرهم المتوكل أن يجلسوا للناس وأن يحدثوا بالأحاديث التي فيها الرد على المعتزلة[٩] والجهمية[١٠]. فجلس المحدث الكوفي عثمان بن أبي شيبة في مدينة المنثور ووضع له منبراً فاجتمع عليه نحوا من ثلاثين ألف، وجلس أخوه أبو بكر بن أبي شيبة في مسجد الرصافة واجتمع عليه أيضاً نحواً من ثلاثين ألف»[١١].

ولم يكن المنتصر بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل (٢٤٧-٢٤٨هـ/ ٨٦١-٨٦٢م) يصل الشعراء إلا قليلاً[١٢]. بينما كان المستعين بالله أبو العباس أحمد بن المعتصم بن هارون الرشيد (٢٤٨-٢٥٢هـ/ ٨٦٢-٨٦٦م) كريماً على الرغم من أنه مستضعف في رأيه وعقله وتدبيره[١٣].

وكان المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن طلحة بن الموفق بن المتوكل (٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠١) وافر العقل، وفي أول سنة استخلف فيها منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة وما شاكلها[١٤]. وذكر السيوطي: أن الراضي بالله أبو العباس محمد ابن المقتدر (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٣-٩٤٠م) كان أخر خليفة من خلفاء بني العباس، جالس الندماء وكانت جوائزه وأموره على ترتيب المتقدمين[١٥]. والحقيقة أن الخلفاء العباسيين بعد المتوكل لم يكن لهم من الأمر شيء، وذلك السيطرة الأتراك عليهم، ومن ثم نجد أن هذا النهر الدافق الفياض من الكرم والسخاء على أهل العلم من أدباء وشعراء قد بدأ يقل تدريجياً ويجف معينه، وأن الخلفاء أنفسهم في هذه المدة قد أصبحوا بحاجة إلى من يكرمهم، لأن مصادر المال ومفاتيح خزائنه ليست بأيديهم، وذكر المؤرخون أن سبب خلع الخليفة المعتز أن الجند اجتمعوا فطلبوا منه أرزاقهم فلم يكن عنده ما يعطيهم فسأل أمه فلم تعطه، فأجتمع الأتراك على خلعه[١٦].

---

(١) السيوطي- تاريخ الخلفاء، ص٣٤٣.

(٢) م.ن، ص٣٤٥.

(٣) القلقشندي- مآثر الأناقة، ١/ ٢٢٦.

(٤) الطبري- تاريخ- ٩/ ١٣٥- ١٤٠؛ ابن كثير- البداية والنهاية، م٥، جـ١/ ٣١٦- ٣٢١؛ إبراهيم أيوب- التاريخ العباسي، ص٩٨- ٩٩.

(٥) الخطيب، روض الأخبار المنتجب من ربيع الأبرار، مخطوط، بغداد، دار صدام للمخطوطات، رقم (٤٠٠٣٩) ورقة ٣٨.

(٦) السيوطي- تاريخ الخلفاء.

(٧) م.ن، ص ٣٤٦.

(٨) المسعودي- مروج الذهب، ٤/ ص٣، ص ٢٢٨.

(٩) فرقة يسمون أتباعها بأصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية، ويقولون بقدم الله وأن كلامه محدث ومخلوق، ونفوا رؤية الله يوم القيامة واتفقوا أن العبد قادر على خلق أفعاله خيرها وشرها، وإن الله لا يفعل إلا الخير والصلاح، كما اختلفوا في الإمامة والقول فيها نصاً واختياراً، ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل- ١/ ٤٣-٤٦.

(١٠) أصحاب جهم بن صفوان وهو من أصحاب الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله مسلم بن احوز المازني، وقد وافق المعتزلة في نفي الصفات، الشهرستاني- الملل والنحل، ١/ ٨٦

(١١) الخطيب- تاريخ بغداد، ١٠/ ٦٧؛ ابن الجوزي- المنتظم، ١١/ ٦- ٢٠٧.

(١٢) الصولي، أخبار البحتري، ص ١٠١.

(١٣) ابن الطقطقي- الفخري في الآداب، ٢٤١.

(١٤) السيوطي- تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٨- ٣٧٠؛ واورد المقريزي رواية ذكر فيها أن الخليفة المعتضد بالله بنى بجوار قصره في الشماسية ببغداد دورا ومساكن ومقاصير، ورتب في كل موضع منها رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية، واجرى عليهم الأرزاق، ينظر: المقريزي- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، القاهرة، بولاق، ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، ٢/ ٣٦٣.

(١٥) السيوطي- تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٣.

(١٦) ابن كثير- البداية والنهاية، م٦، جـ١١/ ١٨.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر المخطوطة:

- الخطيب محمد محيى الدين محمد (ت٩٤٠هـ/١٥٣٣م٩
- روض الأخبار المنتخب من ربيع الأبرار، بغداد، دار صدام للمخطوطات، تحت رقم (٤٠٠٣٩٩).

ب- المصادر المطبوعة:

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن (ت٣٥٦هـ/ ٩٢٦م).
- الأغاني، ط١، أعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث، بيروت، دار إحياء التراث ١٩٩٤م. ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد (ت٣١٤هـ/ ٩٢٦م).
- كتاب الفتوح، ط١، دار الكتب العلمية ١٩٨٦م.

ابن الانباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م).

- نزهة الالباء في طبقات الأدباء ط٢، تحقيق إبراهيم السامرائي، الزرقاء، مكتبة المنار، ١٩٨٥م.

البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، عالم الكتب، د.ت. التنوخي، القاضي أبو علي المحسن بنعلي (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م).
- نشوار المحاضرة، تحقيق عبود الشالجي، د.ت، ١٩٧١م.

ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد الدمشقي (ت٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م).

- غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره، برجستراسر، مصر، مكتبة الخانجي ١٩٣٢م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

- مناقب بغداد، شره محمد بهجت الأثري، بغداد، ١٩٢٣م.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ط١، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م).

- الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م. لخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

ابن دحية الكلبي، حسن بن علي (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م).

- النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ط١، صححه عباس العزاوي، بغداد، ١٩٤٦م.

الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، ط٢، تحقيق عمر عبد السلام القدري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٩م.
- تذكرة الحفاظ بيروت، منشورات دار الكتب العالمية، ١٩٥٤م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق على محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٤م. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).
- تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق حسين نصار، مراجعة عبد الحليم الطحاوي، وعبد الستار أحمد فراج، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٤م.

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن (٣٤٠هـ/ ٩٥١م).

- مجالس العلماء، ط٢، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

- الأشباه والنظائر في النحو، ط١، تحقيق عبد العال سالم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
- تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق محي الدين عبد الحميد، منشورات الشريف الرضي (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

الشهرستاني، أبو الفتح محمد، عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).

- الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني بيروت، دار المعرفة، ١٩٦١م.

الشيباني محمد بن الحسن (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م).

- كتاب السير الكبير، إملاء محمد بن أحمد السرخسي، تحقيق صلاح الدين المنجد المطبعة مصر، ١٩٥٨م.

الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ/ ٩٤٦م).

- أخبار البحتري، تحقيق صالح الاشقر، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ١٩٥٨م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٦م.

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبي العلوي (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م).

- الفخري في الآداب السلطانية، بيروت، دار صادر، د.ت طيفور.

أبو الفضل، أحمد بن أبي طاهر (ت٢٨٠هـ/ ٨٩٣م).

- كتاب بغداد، بيروت،دار الجنان، د.ت.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م).

- العقد الفريد، ط٢، بيروت دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م.
ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.
أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد صاحب حماة (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).
- تقويم البلدان، بيروت، تصوير، دار صادر، طبع دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٩٨٠م.
الفيروز آبادي، مجد الدين بن محمد يعقوب (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م).
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ط١، حققه محمد المصري، الكويت، جمعية أحياء التراث العربي، مركز المخطوطات والتراث.
- القاموس المحيط القاهرة، مؤسسة الحلبي، د.ت.
ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).
- الإمامة والسياسة (منسوب) تحقيق طه محمد الزيني، دار المعرفة، ١٩٦٧م.
- عيون الأخبار، شرح وضبط وتعليق وتقديم وترتيب فهارس، علي يوسف الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
- المعارف، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٠م.
القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م).
- أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ليبزك، ١٩٠٣م.
- أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م.
القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م).
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط١، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
- مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، بيروت، عالم الكتب، د.ت.
القيرواني، أبو إسحق إبراهيم بن علي المصري (ت٤٥٣هـ/ ٢٠٦١م).
- زهر الآداب وثمر الألباب، ط٤، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٢م.
الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).
- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان، بيروت، دار الثقافة، ١٩٤م. ابن كثير، أبو الفداء، الحافظ إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).
- البداية والنهاية، ط٣، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
الكردري، حافظ الدين بن محمد (ت٨٢٧هـ/ ١٣٤١م).
- مناقب أبي حنيف، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨١م.
المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت٣٥٦هـ/ ١٣٤١م).
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط٤، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
ابن المعتز، عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد (ت٢٩٦هـ/ ٩٠٨م).
- طبقات الشعراء، ط٤، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة دار المعارف، ١٩٥٦م.
المقدسي الحنبيل، أبو عبد الله محمد بن مفلح (ت٧٦٣هـ/ ١٣٦١م).
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، ط٢، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، القاهرة، بولاق، ١٨٥٣م.
النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت٣٣٨هـ/ ٩٤٩م).
- صناعة الكتب، ط١، تحقيق بدر أحمد ضيف، بيروت، دار العلوم العربية، ١٩٩٠م.
ابن النديم، أبو الفرج، محمد بن أبي يعقوب، إسحق المعروف بالوراق (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).
- الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م.
ابن وادران، حسين بن محمد (كان حيا ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م).
- تاريخ العباسيين، تحقيق منجي الكعبي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت٣٠٦هـ/ ٩١٨م).
- أخبار القضاة، بيروت، عالم الكتب، د.ت.
ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله البغدادي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨٧م).
- معجم الأدباء، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م.

- معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨. أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكتاب (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٤م).
- كتاب البلدان، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٩٨٨م.

المراجع العربية والمعربة:

- تاريخ التعليم عند المسلمين، والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، مستقاة من تاريخ الخطيب البغدادي، الرياض، دار المريخ، ١٩٨١م.
أمين، أحمد.
- ضحى الإسلام، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٣٥م.
البراقي النجفي، السيد حسين بن السيد أحمد.
- تاريخ الكوفة، ط٤، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٧م.
الترمانيني، عبد السلام.
- أحداث التاريخ الإسلامي، ط٢، دمشق، طلاس للدراسات والترجمة، ١٩٨٨م. الخضري بك، محمد.
- محاضرات في تاريخ الأمم والدولة العباسية، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
- ديورانت، ول.
- قصة الحضارة، ط١، ترجمة محمد بدران، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م.
- السباعي، مصطفى.
- من روائع حضارتنا، الجزائر، دار الصديقية، د.ت.
ضيف، شوقي.
- المدارس النحوية، ط٦، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨م.
الطنطاوي، محمد.
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط٢، القاهرة دار المعارف، ١٩٩٥م.
عباس، عبد الحليم.
- البرامكة في التاريخ، عمان، منشورات وزارة الثقافة والشباب، د.ت.
عبد الرزاق، فهمي.
- العامة في بغداد في القرنيين الثالث والرابع الهجريين، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.
كرد علي، محمد.
- رسائل البلغاء، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، ١٩١٣م.
كوك، ري جارد.
- بغداد مدينة السلام، ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد، بغداد، ١٩٦٢م.
الكيلاني، عبد الرزاق.
- من مواقف عظماء المسلمين، ط١، لبنان، دار النفائس، ١٩٩٤م.
ليسترنج غي.
- بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة بشير فرنسيس، بيروت مؤسسة الرسالة ن ١٩٨٥م.
المدور، الجميل.
- حضارة الإسلام في دار السلام، القاهرة، ١٩٥٣م.
مهنا، عبد الأمير.
- أخبار المغنين في الجاهلية والإسلام، ط١، بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٠م.
الموسوي، مصطفى عباس.
- العوامل التأريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، ١٩٨٢م.
الرسائل الجامعية
البشير، مصطفى.
- الحياة الأدبية في مجالس الخلفاء العباسيين حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير غير منشور، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، ١٩٩٤م.
- التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة مؤتة، ١٩٩٦م.
حسن، سهيلة مزبان.
- الحركة الفكرية في العراق في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠.
الهويمل، محمد.
- الحركة الفكرية في خلافة المأمون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة مؤتة، ١٩٩٦م.

المقالات والبحوث والدوريات العربية

الدوري، عبد العزيز، وعبد الحميد يونس.
- مقالة «بغداد» دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة ومراجعة أحمد الشناوي، بيروت، دار الفكر، د.ت.